

تفسير ابن كثير

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ

يقول تعالى إخبارا عن المشركين : إنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم ، أي : حلفوا أيما حلف مؤكدة (لئن جاءتهم آية) أي : معجزة وخارق ، (ليؤمنن بها) أي : ليصدقنها ، (قل إنما الآيات عند الله) أي : قل يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنتا وكفرا وعنادا ، لا على سبيل الهدى والاسترشاد : إنما مرجع هذه الآيات إلى الله ، إن شاء أجبكم ، وإن شاء ترككم ، كما قال ، قال ابن جرير : حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي قال : كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ، فقالوا : يا محمد ، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى ، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة ، فأتنا من الآيات حتى نصدقك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أي شيء تحبون أن آتيكم به؟ " قالوا : تجعل لنا الصفا ذهبا . فقال لهم : " فإن فعلت تصدقوني؟ "

قالوا : نعم ، والله لئن فعلت لنتبعك أجمعين . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ، فجاءه جبريل ، عليه السلام ، فقال له : لك ما شئت ، إن شئت أصبح الصفا ذهبا ، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبنهم ، وإن شئت فأتركهم حتى يتوب تائبهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم " فأنزل الله : (وأقسموا بالله) إلى قوله تعالى (يجهلون) . وهذا مرسل وله شواهد من وجوه أخر . وقال الله تعالى : (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) [الإسراء : 59] . وقوله تعالى : (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) قيل : المخاطب ب (وما يشعركم) المشركون ، وإليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم : وما يدريكم بصدقكم في هذه الأيمان التي تقسمون بها . وعلى هذا فالقراءة : " إنها إذا جاءت لا يؤمنون " بكسر " إنها " على استئناف الخبر عنهم بنفي الإيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها ، وقراءة بعضهم : " أنها إذا جاءت لا تؤمنون " بالتاء المثناة من فوق . وقيل : المخاطب بقوله : (وما يشعركم) - المؤمنون ، أي : وما يدريكم أيها المؤمنون ، وعلى هذا فيجوز في (إنها) الكسر كالأول والفتح على أنه معمول (يشعركم

(. وعلى هذا فتكون " لا " في قوله : (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) صلة كما في قوله :)

ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) [الأعراف : 12] ، وقوله (وحرام على قرية أهلكتها

أنهم لا يرجعون) [الأنبياء : 95] . أي : ما منعك أن تسجد إذ أمرتك ، وحرام أنهم

يرجعون . وتقديره في هذه الآية : وما يدريكم - أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك

حرصا على إيمانهم - أنها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون . وقال بعضهم : " أنها " بمعنى لعلها

. قال ابن جرير : وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب . قال : وقد ذكر عن

العرب سماعا : " اذهب إلى السوق أنك تشتري لي شيئا " بمعنى : لعلك تشتري . قال : وقد

قيل : إن قول عدي بن زيد العبادي من هذا : أعاذل ما يدريك أن منيتي إلى ساعة في اليوم

أو في ضحى الغد وقد اختار هذا القول ابن جرير وذكر عليه شواهد من أشعار العرب والله

تعالى أعلم .